جدية ما سيمثله النظام كطرف من أطراف الصراع . الامر الذي كان يبدو معه الى اي مدى كان النظام الاردني مجبرا على الانتظار « في الدور » ، لاستكمال التفاعـــلات السياسية لعناصر الموقف العام .

٣ ــ احتدام الحوار السياسي داخل ساحة العمل الوطني الفلسطيني . فبقدر ما كان الاجماع العربي والدولي عنصر قوة اضافية للطرف الفلسطيني ، وبرهانا جديدا على قدرة هذا الطرف في التأثير على مجريات التسوية بما يتلاءم ومصالحه الوطنية ، فقد أدى عدم الاجماع الفلسطيني على موقف موحد من التسوية ، الى دفع النظام الاردني وغيره من الاطراف العاملة بدأب على ابعاد منظمة التحرير الفلسطينية عن التسوية ، بالمراهنة على استفحال الخلاف الفلسطيني وعدم التوصل الى قرار . وكانت الاشارة العلنية والرسمية الوحيدة في هذا الصدد ما جاء في حديث جوزف سيسكو نائب وزير الخارجية الاميركي ، الذي قال ردا على سؤال بث من تلفزيون شيكاغو ، ان أحدا لا يعلم الى حد كبير من هو الممثل للفلسطينيين « لان الانقسامات مستمرة داخل الحركة الفلسطينية نفسها . نعلم ان هناك المنظمة الرئيسية الشاملة المسماة منظمة التحرير الفلسطينية ، لكنك ترى ان لديك فلسطينيين يعيشون في كل أنحاء الشرق الاوسط ، في دول مختلفة ، لذلك لديك آراء سياسية مختلفة ... وهذه المشكلة لم تحل ، وأنا لست متأكدا من السهولة التي ستحل بها في المستقبل ... »(٢٣) .

[٢]

في الفترة التي تلت مؤتمر جنيف ، وبانتظار استقرار التفاعلات الجـــارية لعناصر الموقف ، جرى التعامل الاردني مع المعطيات الناجمة عن التحركات السياسية لمختلف أطراف الصراع ، بصمت وهدوء متميزين . وابتعدت الحركة السياسية للنظام خلال هذه الفترة عن المواقف الدراماتيكية المنفعلة ، كما جرى خلال مؤتمر القمة العربي ومؤتمر جنيف نفسه . وجاءت حركة التمرد في الجيش الاردني ، أوائل شهر شباط (فبراير) الماضي ، وما صاحبها من أنباء تتحدث عن الفتور في العلاقات الاردنية ــ الامريكية(٢٤)، لتزيد من كفاءة الحركة السياسية للنظام وتحد من تحركه العلني النشط .

انصرف الاهتمام الرئيسي للنظام بعدئذ ، الى العمل بصمت على محور الضفة الغربية . وشهدت الفترة هذه تركزا شديدا لجهد النظام ازاء الضفة المحتلـــة . فبعد أن أحبط الوضع الداخلي الاردني والوضع العربي تواصل جهود الاردن المتعلقة بتكريس وجهة نظره حول التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني ، لم يكن أمام النظام الا الاستدارة نحو الضفة الغربية ، بجهود حثيثة ، لخلق مناخ سياسي فيها ، مؤات لطرحه السياسي ، ومعزز لموقفه ذلك ، عربيا ودوليا .

ولم تكن الخيارات هنا مفتوحة أمام النظام الاردني . فعوضا عن حالة العداء الشديدة لسياساته اثر مجازر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وتنامي الشعور بالفلسطينية والانتماء المتميز ، كردة فعل لمعاناة الجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية من سياسات النظام قبل هزيمة حزيران وبعدها ، خلقت حرب تشرين في الضفة الغربية ، وقطاع غزة ايضا ، حالة وطنية صلبة ، مؤسسة على مجموع النتائج الايجابية التي أفرزتها الحرب . فلأول مرة بدت أمام جماهير الضفة الغربية امكانية موضوعية ملموسة ، لاستعادة الهوية الذاتية الفلسطينية للارض المحتلة في العام ١٩٦٧ .

كان على النظام الاردني اذن ، وهو يرمي بجهوده الكبيرة نحو الضفة الغربية ، ان يضع في اعتباره نزوع أوسع القطاعات الشعبية الفلسطينية الى تحقيق هويتها الذاتية وبناء استقلالها الوطني الخاص بها .